**المحاضرة السابعة: كيفية تلقي الشعر المعاصر في ضوء الوسائط الالكترونية**

تتسع دائرة النص الشعري المعاصر في ظل التحولات الظرفية "لتمتد إلى العلامات غير اللسانية فصار إلى جانب الملفوظ المسموعُ والمرئيُّ، وبذلك تم التوصل إلى أن النص لا يتفاعل فقط مع نصوص من أنظمة غير لسانية، وأن النص، وهو يتفاعل معها، يضمنها نظامه اللساني" [1]، وهذا ما يدل على مدى الأهمية التي تتكسيها الوسائط الالكترونية (Multimédia)، من حيث اضطلاعها بمهمة التعريف بالأنا، استعانة بالكتابة الالكترونية بما هي جزء من التطور التقني في العصر الحديث، و بذا تبرز قيمة المقروء حضاريا كونه لا يعكس تفكير فرد بعينه فحسب؛ ولكنه جهد فعّال وليس "إنتاجا اغترابيا بل امتدادا عضويا، ليس إفرازا مجمدا بل إبداعا محولا" [2].

ومن نافلة القول في هذا الصدد التنويه بوسيلتين هامتين يمكن أن تكونا مكملا لصرح هذا الإبداع المحول، ولو من باب التأكيد على وجود منافذ يمكن للشعراء الاستفادة منها؛ **أولاهما** إدراك ما لدُور النشر والترجمة من أثر بالغ في التعريف بالمقروء الشعري و**ثانيهما** ضرورة الاستفادة من كشوفات العصر الحديث وما واكبه من تطورات تكنولوجية فائقة الدقة، مسّت عوالم الاتصالات والحواسيب ووسائل تخزين المعلومات؛ فيغدو نتاجا مستفيدا من وساطة ترويجية محورها آلية النص التفاعلي، حينها ينتفي عنصر القصدية لدى المتصرف في النص المكتوب؛ إذ تُبنى نظرته على شيء موجود أصلا، تسنى له التمظهر اعتمادا على الطباعة الورقية، في وقت كانت فكرة الوسائط الإلكترونية حلما إيطوبيا لمّا يتبلور بعد، ويُوسم هذا الأدب الذي يتكيّف مع منجزات العقل البشري بالأدب المنقول من الخطي إلى الضوئي، بمزاوجة صاحبه بين معرفة التقنيات الحاسوبية ومستوى ثقافي خاص يستوعب كيفية تغيّر بنية العمل الأدبي وطرائق نشره.

إنّ تحسّس امتداد النص الشعري اليوم ضمن هذه التجاذبات المؤثرة دال على تشكيل فني بترسبات تراثيـة لغويا على الأقل، ومـؤشر على محاولة تموقع وإعادة توجيه لمستويات تشكيله الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية؛ لتنصـهر في جسد النص نفسـه

---

[1] سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص120.

[2] إدوارد سعيد: العالم، النص، الناقد، تر: فريال جبوري غزول، مجلة فصول، ديسمبر 1983، ص191.

"روافد فردية واجتماعية ونفسية وأيديولوجية ولغوية وآنية وزمانية، كما أن علائقه الباطنة والظاهرة بمجمل السياق الثقافي للأمة ماضيا وحاضرا يتشاجن و يتشقق بعضها من بعض"[1].

وكل خصيصة مُتضمَّنة فيه بوصفه إبداعا تُعد محصلة قراءة واعية، تصل الداخل بالخارج، ومساحة تذوي معها الفواصل بين ما هو سياقي وما هو نسقي، ليظهر عمق ارتباط المعالجة المضمونية بما يحفها من معالم يستقي منها الأديب تجربته الإبداعية، ضاربا مع القارئ موعدا كي يستنطق دلالاته ويفك رموزه.

ولا ريب في أن موجد النص كتابةً ومُثريه قراءةً لا ينفصمان عن واقع متقلب أثبت قابليةً لتطبيق النظريات العلمية؛ كان من أهم تجلياتها "ظهور شبكات النقل السريع للمعلومات التي تتخذ من المعلومات الاتصالية، نمطا جديدا في تبادل[ المعارف] بين الأفراد والدول، وهذا انطلاقا من الإدماج بين الإعلام الآلي والبنى التحتية للاتصالات" [2] فأتاحت هاتيك التحولات بعثا متجددا للممارسة الإبداعية، وهامشا أكبر للحرية الذاتية، "بوصفها فعلا من الأفعال التي تعبر عن أنطولوجيا، وهي بهذا تشترك مع الإبداع في كونه فعلا ـ أيضاـ ينتقل من الإمكانية إلى الوجود"[3].

ومن المفيد في كنف تلك التحولات وصل امتدادات القصيدة المعاصرة زمنيا بواقع ثقافي، تنتفي فيه القطيعة بين الإبداع وباقي النظم المعرفية ذات الصفة المرجعية الفاعلة، والمقصود بالمرجعية ليس ذاك النمط الإحالي الذي يستكين إليه النص؛ بل ما يُراد بها أعمق غورا وأوسع دلالة؛ إذ يجسد أصالة الإبداع انتماءً وبناءً، بما اكتسبه من معطيات فنية وواقعية هي بالأساس لبّ تشكيل نواته الأولى.

فما من أحد "يستطيع اليوم أن يكوم بمعزل تام عن مصادر المعرفة الجارية كما يجري الماء [...] ولقد تغير معنى المعرفة تبعا لذلك؛ فأصبحت أنواعا ودرجات منها العميق ومنها الضحل منها الهام ومنها التافه، والخيار للناس فيما يتناولون من أنواع المعرفة، هذا الخيار لم يكن معروفا لأهل العصور السابقة، وهذه الوسائل السهلة لم تكن

---

(1) سعد عبد العزيز مصلوح: في النقد للساني، ط01، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د/ ت، ص230.

(2) ط عبد الحق: مدخل إلى المعلوماتية، ط01، ج02، قصر الكتاب، الجزائر، 2000، ص01.

(3) زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، 1971، ص30.

مهيأة لهم، فدونهم وأي نوع من أنواع العلم أو المعرفة حواجز قائمة لا بد لهم من اجتيازها بالكفاح والإرادة"[1].

وحقيق هنا التنويه بما لمرجعية الكاتب الثقافية من دور في إعادة تشكيل حياة الذات الشاعرة استنادا على استعادة ماضيه في اللحظة الآنية؛ لحظة كتابة النص لتصبح تشكيلا معرفيا، يوفر "معرفة تدور حول كيفية اشتغال نص ما، وحول ماهية المعاني التي يدمجها النص، وحول الاعتبارات التي يحدد فيها النصُّ نفسَه، بوصفه تجسيدا للتأملات، وهذا النوع من النصية، بوصفه تشكيلا معرفيا، يعين أبعاد الحياة المروية وظروفها ومعاييرها وتحديداتها"[2].

فالنص بناءً على هذه النظرة ينتج في أحضان واقع مؤثر يتفاعل مع سياقاته الاجتماعية والثقافية، وهو ما يتيح إمكانية توليد الدلالات من دوال غير معزولة عن المقام كبنية سيميوطيقية، يتشكل من خلال ثلاثة عناصر متغيرة هي المجال والعلاقة والمنحى [*] والمقصود بالمجال اتخاذ النص وظيفة دلالية مقرونة بما يرمي إليه المتكلم تصورا وتبليغا ضمن علاقة قائمة بينه وبين المتلقي استنادا على قنوات إبلاغية تواصلية[3].

ويَفترض هذا النص بوصفه نسقا رؤية شمولية عن علاقات ممكنة التحقق بين أنواع مختلفة تتباعد أو تتقارب حسب وظيفتها النصية، تقوم عملية الكشف عنها وربطها بالسياق الذي أُنتجت فيه انطلاقا من التفاعل الاجتماعي والمعرفي والثقافي الذي هو مكون "معرفي شمولي، يرصد حراك الإنسان وفاعليته في إبداعاته وإنجازاته، بتخطيطات ذكية ودوافع عقلية ومواقف فكرية ونوازع شعورية متنوعة ومعقدة [...] فالثقافة بكلمة موجزة هي دائرة نشاط الإنسان المتحققة على الأرض فعلا مستقرا" [4] استمدت منه القصيدة المعاصرة ديمومتها، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على خلفياتها المرجعية/ الفكرية والجمالية، بما هي أرضيات تأسست عليها، فكان أن تمخض عن صنف من الكتابة موصول بهذه الرؤية؛

---

[1] توفيق الحكيم: سجن العمر، ص18.

[2] هيو. ج. سلفرمان: نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، ص139.

[*] يرتبط كل عنصر من هذه العناصر بوظيفة ما، محددة في الشكل الآتي: **المجال:** الوظيفة التجريبية/ **العقلية:** الوظيفة التواصلية/ **المنحى:** الوظيفة النصية.

[3] ينظر: سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص18.

[4] عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، ص15.

التي ترى في الثقافة منتوجا تاريخيا لا يوجد في حالة سكون، لأنه يندرج في تاريخ العلاقات بين الجماعات، ومن البديهي أنه لا ينتقل من جيل إلى جيل كما هو دون تحوير في الأشكال والمضامين، ولتحليل أي نسق ثقافي ينبغي البدء بتوصيف الوضعيات الاجتماعية/ التاريخية التي يتبلور فيها ذلك النسق والتعاطي معه كما هو في الواقع [1] إذ تقتضي عملية ربط النص بسياقه معاينة هذا السياق النصي مثلما يتجلى من داخل النص نفسه.

[1] ينظر: محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص66.